الواقعة من جهة ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام من الافعال والاقوال في سلك
اخروا ما قوله تعالى ومن كفر اه فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء
المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه
السلام ومن ذريتي في خلال الكلام سبحانه ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الاخلاص
والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخالهما جر معهما في الدعاء او لان التثنية من
مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء
لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان
منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز
وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقا لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة
المسلمة امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد جوز ان تكون مبينة قدمت على المبين وفصل
بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا
وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا
في الحج ومذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكاية عنهما
لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما
لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء
للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته
ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا
يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو الذي اجيب
دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا
دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل
في الدعاء واسمعيل تبع له عليه السلام يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه
من البينات ويزكيهم بحسب قوتهم النظرية ويعلمهم اي القرآن الكتاب وما تكمل به
نفوسهم من الاحكام الشرعية والمعارف الخفية والحكمة بحسب قوتهم العملية
اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب

على ما يريد

على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة
المسئول فان الحكمة مقتضية لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث
الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة
ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح
والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها
واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق نفسه او اهلك او جهل نفسه قال المبرد
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع
نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله • وتاخذ بعده بذناب عيش
اجب الظهر ليس له سنام • وقوله • ومما قومي بثعلبة بن سعد • ولا بفزارة الشعر الرقابا •
وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه وازالتها
حيث خالف بها كل نفس عاقل روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا
اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى
مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر
الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب
قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه
وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة و
الخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرر و
لا حاجة الى جعلها اعتراضا او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا
مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي
اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور
الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها
وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة
عليها على ان قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله • ربيته حتى اذا تمعددا • كان
جزائي بالعصا ان اجلدا • او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)